الشديد واصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع والضراء يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا في البأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل قاموا على تكذيبهم وكفرهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرضا عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني فرحوا بما اوتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى وانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاءة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين وقال ابو عبيدة البائس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا يعني اخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأفتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب

قوله تعالى قل ارايتم اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ان اخذ الله سمعكم يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئا وابصاركم يعني واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا اصلا وختم على قلوبكم يعني حتى لا تفقهوا شيئا اصلا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها اشرف اعضاء الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا والاخرة ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى من اله غير الله ياتيكم به يعني ياتيكم بما اخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف الايات يعني كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين لها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة يعني فجاءة او جهرة يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون يعني المشركون لانهم ظلموا انفسهم بالشرك

قوله

قوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين يعني لمن امن بالثواب ومنذرين يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن واصلح يعني من امن بهم واصلح العمل لله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن غيرهم والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة

قوله تعالى قل لا اقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اقول لكم عندي خزائن الله نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزق الله فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي ولا اعلم الغيب يعني فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون ولا اقول لكم اني ملك وذلك انهم قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيئا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات العظام ان اتبع الا ما يوحى الي يعني ما اخبركم الا بوحي من الله انزله علي ومعنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وبما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما اخبر عن غيب فبوحي الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه قل هل يستوي الاعمى والبصير يعني المؤمن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل افلا تتفكرون يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل وانذر به يعني وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق ليس لهم من دونه يعني من دون الله ولي اي قريب ينفعهم ولا شفيع يعني يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المؤمنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى ياذن الله لهم في الشفاعة فاذا اذن لهم فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع لعلهم يتقون يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)